الاحوال (١) ولا تحسر المتزوجة بزواجها حقوقها الخاصة والزوجة على الزوج صداق مقدم فاذا لم يدفعه تحكم الشريعة لها بصداق يناسب درجتها . والزواج الاسلامي عمل مدني لا يحتاج الى قسيس او رسوم معلومة (٢) وان عقود الزواج الاسلامية لا تخول الرجل سلطة على الزوجة وراء ما عينته الشريعة له عليها ولا تعطيه حقاً من الحقوق بالتسلط على امتعتها او ثروتها . فحقوقها من حيث انها امٌ لا يتوقف الاعتراف بها على وساوس القضاة المختلفي المشرب والتربية . وما كسبته بيدها لا يتمكن من اتلافه زوج مبذر وان زوجاً شرساً لا يقدر على الاساءة الى زوجته من غير عقاب وهي تدير امرها بيدها متى كانت بالغة من غير مداخلة زوجها او ابيها . وتداعي غرماءها في المجالس العلنية من غير ان تضطر الى الانضمام الى رفيق ثان او تحت اسم زوجها وبعد ماتترك بيت ابيها تبقى لها الحقوق التي يخولها الرجل . وان امتيازاتها من حيث انها ام وزوجة لا تضمنها المجاملات المتقابلة ولكن تضمنها الاحكام المسطرة في كتاب الشرع . ونقول اجمالاً ان حالتها لا تقل عن حالة كثير من نساء الغرب ومن المحقق انها في كثير من الشؤون ارفع منهن مقاماً وتأخرها بالنسبة الى الغربيات ناتج عن قلة التهذيب بين الطبقات عامة لا عن شيء خاص في احكام الفقهاء .

بيروت عبد الرحمن شهبندر

الازمة المصرية

يقول علماء الاقتصاد ان لايجاد الثروة ثلاثة عوامل كبيرة لا غنية لاحدها عن الآخر وهي العمل والمادة ورأس المال . فينشأ العمل بنشر التعليم بين طبقات الامة وجعله عملياً ونظرياً ومتى توفرت الهمة على العمل توفرت المادة . ورأس المال اهم من العنصرين الاولين وبدونه لا يقوم مشروع . ولقد ساعد مصر في هذا الربع الاوّل من القرن الرابع عشر للهجرة تحسين طرق ريها بفضل مهندسين بارعين وطنيين واجانب وتنظيم طرق الجباية وانتشار الامن بعض الشيء في بلاد الاقاليم والحواضر الكبرى واصلاح احوال المحاكم وامن

(١) بقي ملوك الغرب يجبرون البنات على زواج رعاياهم قروناً عديدة بعد ما وضع الفقهاء تلك القاعدة .

(٢) ان العادات الوثنية التي اكتسبها مسلمو الهند والعادات الخالية التي كانت قبل الاسلام في سورية ومصر والتي لا تزال باقية ليست من الاسلام في شيء

الناس على ارواحهم واعراضهم واموالهم فكان من ذلك ان كثر العمل والمادة الاصلية موجودة في تربة البلاد وجودة مائها وهوائها وبقي رأس المال فحصل بعضه بقوة العمل وحسن المعرفة بتصدير حاصلات البلاد الى الديار الاجنبية وجاءت على الاثر الشركات تحمل رؤوس اموالها العظيمة تتجر بها وتستثمر الاطيان والاراضي وتبني المصانع والمعامل القليلة وتضارب وتقرض وتمدّ .

جاءت تلك الشركات واكثرها اوربية فرأت من سير البلاد نحو التقدم ما نشطها واعانها على ما تنشده استتباعاً بالامتيازات الاجنبية فضوعفت ثقتها باعمالها وثقة الناس بها وقد تساهلت الحكومة في الترخيص لها فتم لها ما ارادت من المغانم وبذرت عشرات الملايين من الجنيهات في وادي النيل تستغلها في كل ما رأت الربح فيه من الاعمال وكثر عددها حتى بلغت مائتين واربعين شركة بعد ان لم تكن منذ عشر سنين اكثر من خمسين شركة ولا يقلّ رأس مالها عن مائة مليون جنيه .

هذه الشركات وتحسين صادرات البلاد واكثرها من القطن هي التي اتت مصر برأس مال عظيم ولما كثر المال في الايدي ارتفعت اسعار العقارات والمنقولات والاراضي . وقد كان لخزان اسوان يد طولى في زيادة الثروة وما عولت الحكومة عليه من تعليته ثانية بحيث يُقدّر ان ما سيحيا به من الاراضي الموات نحو تسعمائة وخمسين الف فدان فاذا كان ثمن الفدان الواحد خمسين جنيهاً فتكون قد زادت ثروة القطر من هذه التعلية وحدها نحو ثمانية واربعين مليون جنيه .

وقد انصرفت معظم هذه الشركات الى ابتياع اراض زراعية وتحضت لاصلاحها وبيعها من صغار الفلاحين بعد . وطفق بعضها يبتاع اراضي للبناء في ضواحي الحواضر كالقاهرة والاسكندرية فارتفعت بذلك اسعار الاراضي ولا سيما اراضي البناء لانها دخلت في دور المضاربة يضارب بها زيد فيربح فيأتي عمرو ليضارب بها ويبيعها بثمن اغلى حتى بيع الفدان الذي يؤجر بخمسة عشر جنيهاً في ظاهر القاهرة بزهاء ثلاثة آلاف جنيه ومعظم الاراضي التي أُبيعت في سوق المضاربات لا تشتد حاجة الناس الى البناء فيها ولو بلغ سكان القاهرة ثلاثة ملايين نسمة فما بالك وهي لم تتجاوز السبعمائة الف .

ولما رأى بعض الاهالي هذه الارباح راحوا يقلدون الغريبين في المضاربة مع قلة اختبارهم وعدم مرانهم على اعمالها هذا والمصارف تمد الناس في الاعتمادات وتلي لم تعطي صاحب الالف عشرة آلاف . وربما تثق بمن لا يوثق به فواغرق في هذه المضاربة كثير من الارمام والاسرائيليين والسوريين ممن هبطوا مصر ليغتنوا فيها في زمن قصير . وكان من

اثر تطوح البيوت المالية في امداد الناس بالمال وتطوح المزارعين والمضاربين في الاستلاف ان كثر التعامل بالربا وربما زاد معدله عن معدل الربح الصافي المتعامل به ودخل السوق المالية كثير من المحتالين المتلاعبين والسماسرة واحسنوا استخدام غفلة ابن البلاد ليربحوا بما يضره ويجر عليه الخراب في العواقب .

ولما تجاوزت المضاربات حدود المعقول ارادت البيوت المالية التي نشرت اموالها في القطر ان تتوقف قليلاً في فتح الاعتمادات لمصارف مصر فتوقفت هذه عن الاقراض بالطبع وهناك حدثت ازمة رنت في ارجاء العالم انتهت بخراب بيوت مئات كانوا اغتنوا بالوهم اذ استحقت عليهم اموال لا مناص لهم من ادائها في اوقاتها وقبضت المصارف ايديها عنهم ولم تقف الازمة عند حد المضاربات بل تجاوزت الزراعة والتجارة وصادف ذلك موسم وقوف دولاب الاعمال وهو يقف بالطبع في فصل الصيف في مصر فتأذى من تلك الهزة كثيرون كما كان انتفع بتلك الهبة كثيرون وبات الذي اغتنى في اقل مدة وقد صفرت كفه من الدراهم واضاع آخر ما ملك بالوهم من مال المضاربات غير المعقولة .

وزاد الحال اعضالاً توسع القوم في الاسراف وفساد الاخلاق والاغراق في تقليد المترفين من الغربيين وبطر الفلاح النعم ولم يحسن التقليد لان الثروة جاءته عفواً صفواً فدهش لها وبهرته زبارجها وزخارفها واطارت لبه فتوسع في شراء الاطيان ولا سيما ما كان منها للحكومة فقسمته وباعته بالاقساط فصح على الفلاح المصري ما قاله الفيلسوف جول سيمون في الفلاح الافرنسي من قوله : « من اعظم الخطوب التي تصيب المزارعين اقتراضهم المال بالربا ذلك ان الفلاح يحب الارض فيستدين لشراء قطعة منها فلا يلبث ان يصبح مثقلاً بالديون لانه لم يأخذ لنفسه الحيطة خصوصاً اذا اصابته سنة بجوائحها السماوية واتت على مزروعاته فاضرت به ضرراً لا يستطيع معه القيام بحاجات ارضه ومسكنه لقلة دراهمه . وفي اقتراض المرابي للزارع على نسبة ارضه وعقاره نفع كبير للمرابي على انه ليس للزارع الا وسيلة لا تبلغ الغرض ودواء يسكن الم حاجته تسكيناً موقتاً . وافضل الفلاحين من كانت اراضيه متناسبة مع مقدرته بحيث يتأتى له ان ينظر فيها نظراً بليغاً ويتعهدها في كل فصل من فصول السنة المرة بعد المرة والزراعة من اشد الشؤون في الاحتياج الى نظر القائم عليها اكثر من احتياج سائر الحرف واذا اتسعت اراضي الزارع وتناءت عنه فهو فلاح بالاسم وماحك جسمك مثل ظفرك .

« ومن كان له من المال والعلم ما يرغبه في الزراعة كأن يريد ان يجعل بالمال زراعة لا زراعة بالمال فيتخذ له مزارعاً يقوم مقامه ولو بعض القيام لئلا يخسر وتدعو خسارته الى

تثبيط عزائم جيرانه . الارض تستدعي رجلاً صنعته تعهدها واستنباتها كما ينبغي فارس للفرس وبطل لحمل السيف . واقصى ما تحتاجه الزراعة زارع منوّر وعامل خبير له من الارض ملكاً كانت ام ايجاراً ما يسمح له نشاطه بادارته ومتى زاد على ذلك فيكون صاحب مزارع ليس الا . واذا ضاقت عليه ارضه يتعذر عليه ان يقوم بما تقتضيه اياه من النفقات والتحسينات » .

هذا ما قاله سيمون ولكن الفلاح المصري لم يشكُ جائحة سماوية ولو لم يكن النيل على وفائه معه وصادف انه خانه سنة او سنتين كما حدث ذلك في ادوار التاريخ الماضية لخرب معظم المزارعين المصريين ولا سيما الكبراء منهم ممن ابتاعوا اراضي ولم يروها وبقيت سنين في ملكهم وهم لا يعرفون موقعها فكيف لهم ان يتعهدوها ويحسنوا استنباتها واستثمارها .

وقد اضر بالبلاد ان رؤساء معظم الشركات والقائمين على المضاربات هم من شياطين الانس يعرفون من اين تؤكل الكتف لصيد الدرهم ولو بتطبيق اعمالهم على القانون صورةً واعان على حدوث ما حدث ان الحكومة حصرت وكدها في تنشيط البلاد في امورها المادية الصرفة بحسب ما اداها اليه اجتهادها ولم تعر ارتقاءها الادبي جزءاً من تلك العناية وذلك لانها كانت ولا تزال تقول ان حالة البلاد المالية اذا حسنت فالادبيات تجيء تبعاً لذلك ولكن الشرق يحتاج الى غير هذه السياسة الاقتصادية . يحتاج الى المعنويات كما يحتاج الى الماديات والا فتبقى الثروة بيد الاجانب او معظمها وتجني البلاد الضرر العظيم لانها لا تعرف كيف تسير كما جرى للمصري في العهد الاخير . ولو كانت اسباب التربية والعلم منتشرة بين المصريين كانتشار الشؤون الزراعية ولو اخصبت العقول كما اخصبت التربة لما صارت الحال الى ما صارت اليه من الاسراف والتبذير .

قال احد كبار الماليين كان من الواجب لفت انظار القطر الى الامور الضرورية المطلقة النافعة من مثل تعلم الاقتصاد الشخصي ليكون منه الارتقاء الاقتصادي للبلاد كلها وانهيال الثروة عليها وانه تجب عناية الافراد وان لا يخاطروا بما يقتصدونه الا في مشاريع ذات فائدة مضمونة وان لا يعتمدوا في مواردهم على ما تحسن به عليهم المضاربات من الارباح . فحسنات المضاربات ليست ثابتة ولا سليمة . قال ولو تعلم المصريون هذا التعليم لكان لهم منه اعظم رادع عن المضاربة في الاراضي بحيث ارتفعت اسعارها بمال استقرض من الخارج بدون ان يكون متلائماً مع ايرادها والسبب في عدم وقوف الناس عند حد الاعتدال في مطالبهم وغرورهم بالثروة المجنية هو الجنون في المضاربة الذي ضم الى الارباح الحقيقية ارباحاً كاذبة وهمية فتبخرت في الخيال كالماء او كالسراب وساعدها فقدان التربية المتينة العامة التي

لو نالت مصر قسطها منها لاستنارت العقول ووقفت البلاد على حقيقة سر الحياة الاقتصادية أشربت معرفة جمع الثروة الحقيقية الثابتة وحسن التعقل في صرفها .

صحف منسية

نثر ابن زيدون

كتب ابن زيدون من قرطبة الى ابن مسلمة باشبيلية قبل تحوله اليها

ياسيدي وارفع عددي . واول الذخائر في تعددي . واخطر علق ملأت من اقتنائه يدي . ومن ابقاه الله في عيشة باردة الظلال . ونعمة سابغة الاذيال . قد تناصر الثناء عليك . وتوالى الحديث الحسن عنك . حتى حللت محل الامانة . وكنت موضع تقليد الوطر واثبات الطوبة . والله يمتعك بما حازه لك من الخير . ووفره عليك من طيب الذكر .

في ملك اعزك الله ما تقتضيه العطلة من اطلاق الخاطر وصداء النفس ويجنيه طول المقام من إخلاق الدبباجة وارخاص القدر وقد رأيت ان اجتني ثمرة من آداب اطلت الاعتناء بها . واخلاق ادمت رياضة الانفس عليها . ولما فحصت الملوك وجدت عميدهم الذي انسى السالف قبله . ونقدم الراهق (؟) معه . واتعب العابر بعده . الحاجب فخر الدولة مولاي . ومن اطال الله بقاءه . وكبت اعداءه . بما خصه الله به من سناء الهمم . وشماخة الشيم . وانتظام اسباب الرياسة . وكمال آلات السياسة . واجتماع المناقب التي افردته من النظراء . واعلته عن مراتب الاكفاء . فرأيت قبل ان احمل لغيره نعمة . واوسم ممن سواه بصنعة . ان اعرض نفسي مملوكته عليه عرض من لا يؤهلها لاجازته الا بالاستجازة ولا يطمع لها في قبوله الا مع المسامحة . فلو كنت الوليد بن عبيد براعة نظم . وجعفر بن يحيى بلاغة نثر . وابراهيم بن المهدي طيب مجالسة . وامتاع مشاهدة . ثم حضرت بساطه العالي لما كنت مع سعة احاديثه الا في جانب التقصير وتحت عبدة النقصان غير انه لا يعدم مني نجابة غرس اليد واصابة طريق المصنع من ولاية أخلصها . ونصيحة أنحضبها . وشكر اجنيه الغض من زهراته . وثناء أهدي اليه العطر من نفحاته . فنهضت اليك هذه السفارة . واعتمدتك بتكليف النيابة . لوجوه منها حظوتك لديه . ومكانتك منه . سوغك الله الموهبة في ذلك وانهضك باعباء الشكر لها ومنها سرو مذهبك . وكرم سجيتك . وصحة مشاركتك لمن يستوجبها استيجابي . ولا استدعاها بمثل اسبابي . من تداني الجوار . وتصافي السلف